المحاضرة الخامسة: فنون أدب الطفل: الشعر والأنشودة

مقدّمة:

يُعدّ الشعر الموجّه للأطفال من أهم أشكال أدب الطفل، لأنه يخاطب العقل والوجدان والخيال بلغة موسيقية مؤثرة قادرة على تثبيت المعاني في الذاكرة الوجدانية للطفل، فالكلمة الموزونة الموقّعة تدخل إلى نفس الطفل بسهولة، وتترك أثرًا تربويًا وجماليًا عميقًا، ولذلك كان الشعر منذ القديم وسيلة تعليم وتربية، قبل أن يصبح فنًا قائمًا بذاته يخاطب الطفولة بخصوصياتها النفسية والإدراكية.

أولًا: مفهوم الشعر الموجّه للأطفال

الشعر الموجّه للأطفال هو الخطاب الشعري الذي يعبّر عن مشاعر وأفكار وتجارب تتناسب مع عالم الطفل، فيبسط اللغة، ويقرّب الصورة، ويحافظ على الموسيقى والإيقاع ليؤثّر في وجدانه ويثبّت القيم بطريقة غير مباشرة.

ويعرف أيضا بأنه «ذلك الشعر الذي يصاغ بلغة فنية موسيقية تتلاءم مع نفسية الطفل، وتُقدَّم له بغرض التربية الجمالية والوجدانية والمعرفية، من خلال موضوعات تناسب عمره وبيئته.«

ثانيًا: نشأة الشعر الموجّه للأطفال وتطوّره

عرف العرب في القديم نوعًا من الشعر الموجّه للأطفال في ال) lullabies الأمهودات) التي كانت الأمهات ينشدنها لأطفالهن، ومع بداية النهضة الأدبية الحديثة، بدأ الشعراء الكبار يلتفتون إلى الطفل، وفي مقدّمتهم أحمد شوقي الذي يُعدّ رائد الشعر الموجّه للأطفال في الأدب العربي الحديث.

في النصف الثاني من القرن العشرين، ازدهر هذا اللون مع عبد التواب يوسف، عبد الرحمن البرقوقي، محمد الهراوي، سليمان العيسى، علي الجارم، فدوى طوقان، وغيرهم ممن أسّسوا أدبًا شعريًا تربويًا راقيًا.

ثالثًا: أنواع الشعر الموجّه للأطفال

يندرج الشعر الموجّه للأطفال ضمن ثلاثة أنماط رئيسية هي: الأنشودة، والأمهودة الشعرية، والأغنية الشعبية.

1. الأنشودة (النشيد الطفولي): الأنشودة هي قصيدة قصيرة تتّسم بالإيقاع المنتظم واللغة البسيطة والمضمون التربوي أو الوطني أو الديني، وغالبًا ما تُغنّى جماعيًا في المدارس أو المناسبات، من موضوعاتها:

- ✓ حبّ الوطن والطبيعة والمدرسة.
- ✓ التعاون والإخلاص والنظام.
- ✓ القيم الدينية والإنسانية.
- ✓ الدعوة إلى العلم والنظافة والصدق.

الخصائص الفنية:

- ✓ موسيقى منتظمة تعتمد على التكرار والوزن الخفيف.
- ✓ لغة واضحة وصور بسيطة مأخوذة من البيئة.
- ✓ عاطفة جماعية تحفّز روح الانتماء والمشاركة.

أمثلة: من شعر أحمد شوقي:

"العلمُ نورٌ يا صِغارْ والجهلُ ليلٌ لا يُنارْ"

"اطلبِ العلمَ وكنْ في الدُّنا نجمًا يُزارْ"

ومن شعر سليمان العيسى:

"يا صغارَ الحيِّ هبّوا واغرسوا حبَّ الترابْ
وطنٌ نحيا ونفنى دونَهُ، بينَ الصِّعابْ"

الأنشودة هنا توظّف الإيقاع الجماعي والمضمون الوطني لتربية الحسّ الجمعي.

2. الأمهودة الشعرية (التهويدة أو المهدية): هي شعر يُقال للطفل الرضيع أو الصغير لتهدئته أو تنويمه أو مداعبته، وغالبًا ما يُؤلَّف من قِبل الأم أو الجدة، ويتّسم بالبساطة والموسيقى الهادئة والحنان العاطفي، من وظائفها:

- ✓ تنمية الحسّ السمعي والإيقاعي لدى الطفل.
- ✓ بثّ الطمأنينة والحنان.
- ✓ غرس القيم الأولى في لاوعيه.

الخصائص الفنية:

- ✓ إيقاع ناعم، كلمات مكرّرة.
- ✓ اعتماد على الصور الحسية (النوم، القمر، الأم، الزهرة.(...
- ✓ صدور النغمة من العاطفة الأمومية الخالصة.

أمثلة من التراث الشعبي:

"نامي يا زينةْ نامي نامي على صدري الهاني"

"يا ربي نامي وتهنّى ويفرح بيكِ بابا وماما"

وفي الأدب الحديث، تُستعاد الأمهودة بأسلوب فني، كما في شعر سليمان العيسى:

"نامي بسلامٍ يا صغيري فالطيرُ يحرسُ في العشيرةْ"

.3الأغنية الشعبية للطفل: هي نوع من الشعر الغنائي الموروث أو المستحدث يُقال بلغة قريبة من اللهجة المحلية أحيانًا، ويمتزج فيه الفنّ الشعبي بالحكاية والموسيقى، من موضوعاتها:

- ✓ الألعاب الشعبية (أرجوحة، سباق...)
- ✓ المناسبات (العيد، الربيع...)
- ✓ وصف الطبيعة والبيئة القروية.
- ✓ العادات والتقاليد في حياة الطفل.

الخصائص:

- ✓ بساطة في اللغة والإيقاع.
- ✓ التكرار والنغمة الحركية المرتبطة باللعب أو الرقص.
- ✓ روح الفكاهة والعفوية والمرح.

أمثلة:

"يا زينة يا زينة على الحيط رمينا"

"يا وردة يا وردة طلّي على الحارة"

وفي الشعر المعاصر، نجد توظيف الأغنية الشعبية في قصائد الأطفال لدى سليمان العيسى وأحمد سويلم وفؤاد حداد بأسلوب فني راقٍ يدمج التراث الشعبي بالقصيدة الحديثة.

رابعًا: روّاد الشعر الموجّه للأطفال في الأدب العربي

1-أحمد شوقي (1868–1932): رائد الشعر التعليمي للأطفال، تناول القيم الدينية والإنسانية والوطنية بأسلوب موسيقي سلس، مثال:

"الصدقُ خيرُ طريقٍ يسلكُهُ الإنسانُ"

2-محمد الهراوي: من أوائل من خصّ الطفل بكتب شعرية مستقلة مثل أغاني الصغار وأناشيد الأطفال، ركّز على التربية الأخلاقية والوطنية.

3-سليمان العيسى (سوريا): من أبرز شعراء الطفولة العرب، امتاز شعره بالعمق التربوي والوجدان الوطني والإنساني، مثال:

"يا أطفالَ العربِ الأحرارْ احملوا الدنيا بالإصرارْ"

4-عبد التواب يوسف: كتب نصوصًا شعرية تربوية وقصائد مدرسية وأناشيد تربط بين الأدب والتربية الإسلامية.

إلى جانب رواد آخرين أمثال: أحمد سويلم، محمد الفيتوري، فدوى طوقان، عفيف بهنسي ساهموا في تطوير لغة الشعر الموجّه للأطفال من خلال الجمع بين الخيال الفني والقيم الثقافية الأصيلة.

خامسًا: موضوعات الشعر الموجّه للأطفال

1-القيم الدينية والأخلاقية: مثل الصدق، الأمانة، الرحمة، برّ الوالدين، مثال: شوقي يقول:

"كنْ حسنَ الخلقِ مع الناسِ طُرّا فالخُلقُ زينةُ الإنسانِ كُلا"

2-الوطنية والانتماء: إبراز حب الوطن والبيئة، مثال: سليمان العيسى:

"وطني حبٌّ لا يموتْ في قلبي منذُ الصِّبا"

3-الطبيعة والبيئة: توظيف عناصر الطبيعة لتربية الذوق الجمالي، مثال:

"يا زهرةَ الحقلِ الجميلةْ عطّرتِ يومي الطويلَةْ"

4-العلم والعمل: دعوة الطفل إلى الاجتهاد والنشاط، مثال:

"اعملْ لتبنيَ مجدَكْ بالعلمِ يعلو سعدُكْ"

5-السلام والتعاون: تشجيع القيم الإنسانية النبيلة والتسامح بين الأطفال.

سادسًا: الخصائص الفنية والجمالية للشعر الموجّه للأطفال

- ✓ البساطة في اللغة والتركيب: كلمات مألوفة يفهمها الطفل دون جهد.
- ✓ الإيقاع والموسيقى: الاعتماد على الأوزان الخفيفة مثل الرجز والمتقارب والمجزوءات.
- ✓ التكرار: يسهم في ترسيخ المعنى ويثير المتعة السمعية.
- ✓ الصور المحسوسة: استعمال عناصر مألوفة من حياة الطفل (الطير، القمر، الزهرة، الأم، المدرسة...).
- ✓ الوظيفة التعليمية والتربوية: الشعر هنا يعلّم القيم بطريقة جمالية غير مباشرة.
- ✓ التفاعل الجماعي: كثير من النصوص صيغت للإنشاد الجماعي في المدرسة أو الحفلات.

سابعًا: الشعر الموجّه للأطفال في الجزائر والمغرب العربي

برز شعراء جزائريون ومغاربيون في كتابة الأنشودة التربوية والوطنية، مثل:

- ✓ مفدي زكريا في قصائده الوطنية المبسّطة للصغار.
- ✓ محمد العيد آل خليفة في شعره التربوي الديني.
- ✓ شعراء تربويون معاصرون في المناهج التعليمية كتبوا أناشيد تربوية وأغانٍ مدرسية تمجّد القيم الإسلامية والوطنية والبيئية.

ثامنًا: الخاتمة

الشعر الموجّه للأطفال ليس شعرًا بسيطًا أو ثانويًا كما يُظن، بل هو فنّ رفيع يتطلّب وعيًا لغويًا وتربويًا وجماليًا، لأنه يخاطب مرحلة التكوين الأولى في الإنسان، فهو يعلّم الطفل كيف يحبّ الجمال، وكيف يُعبّر بالكلمة عن مشاعره، ويزرع فيه بذور القيم الكبرى من خلال الأنشودة، والأمهودة، والأغنية الشعبية التي تمزج الفنّ بالحياة، وبهذا يكون الشعر الموجّه للطفل مدرسةً في الذوق والوجدان والتربية، ووسيلة لبناء الإنسان المتوازن المبدع.